جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية
ظهر المهراز- فاس

الموسم الجامعي 2019-2020م

شعبة التاريخ- مسلك التاريخ والحضارة
وحدة الشرق الأقصى/ الصين
(الفصل الرابع)

د. عبد الهادي البياض

الكيان الحضاري الصيني (المميزات والخصائص):

تنتمي الحضارة الصينية القديمة إلى جنس الحضارات العالمية كالحضارة المصرية وحضارة وادي الرافدين. والتاريخ كما يتصوره الصيني هو تاريخ دوري(cyclique) بحيث تمر كل أسرة حاكمة من التأسيس إلى الأوج ثم النكوص والتدهور، لتحل محلها أسرة قوية تمر بنفس المراحل.

غير أن ما ميز الانسان الصيني شعوره القوي بتميز حضارته واستمراريتها، فالحضارة الصينية حضارة زراعية حصل فيها نوع من التآلف والتناغم بين ما هو طبيعي وما هو تاريخي، الشيء الذي أمد الانسان الصيني بإحساس مفعم بقيمة تاريخه وتميز ماضيه، تجلى ذلك في تقديسه للماضي وتقاليده، إذ "الصين هي الماضي الحي". كما أن ارتباط الانسان الصيني بالماضي هو الذي يفسر الركود الظاهري للمجتمع مما انعكس سلبا على تأخير إمكانية نشر أفكار التطور والتحديث، ويعزى ذلك في بعض جوانبه إلى إحساس الصيني بنزعة التفوق لذا رفض التواصل مع العالم الأجنبي.

ويمكن فهم خصوصية الكيان الحضاري الصيني، وخلفيات ارتباط الانسان الصيني بتقاليده وتقديسه لماضيه من خلال العناصر التالية:

- **الأسرة قطب النسيج الاجتماعي:**

ويقصد بها لدى الصينيين الأسرة الممتدة التي تتألف في الغالب من خمسة أجيال، يتعايش أفرادها ذكورا وإناثا تحت سقف واحد، ويخضع تسييرها على نظام صارم مستمد من تعاليم

Scanned with CamScanner

الأخلاق الكونفوشيوسية، وبالتالي فهو نظام بطريكي يتولى فيه الرئاسة رئيس العائلة الأكبر سنا، ومن بين مهامه رئاسة طقوس عبادة الأجداد بشكل يومي، ووفق الأخلاق الكونفوشيوسية يمارس رئيس العائلة مهامه التنظيمية بسلطة شبه مطلقة يخضع لها أفراد الأسرة الممتدة.

وتتجلى عبادة الأجداد في سلسلة من العادات والطقوس التي تميز الأسرة التقليدية الممتدة في احتفاظ كل أسرة بسجل يتضمن وجوبا أسماء كل الأجداد السابقين، كما تختار كل أسرة أجمل فضاء في أجمل قاعة بمترلها لعرض لويحات تتضمن أسماء أجدادها المبجلين. وتتخلل هذه الطقوس شعائر تدور في فلك فلسفة الاحترام المقدس الذي يرعاه الأحفاد للأجداد ويحفظه السلف للخلف.

أما الزواج وبحكم التقاليد يبقى من اختصاص رؤساء العائلات ذات الأصل الاجتماعي المتكافئ والحلاف المتقاربة. ويتشكل كل حلف من مجموع الأسر المنحدرة من جد واحد، ويعهد برئاسته إلى كبار السن، وهو بذلك يمثل وحدة اجتماعية تتصرف في ممتلكات وأراضي ومعابد الحلف. يسعى الصيني من خلال تمسكه بهذه الطقوس إلى تعزيز التماسك العائلي الممتد وصيانته بدعم المساواة ونشر العدل بين مكوناته. ولعل هذا ما يجعل الفرد قوي الارتباط والانتساب إلى أسرته إذ يصعب عليه التحرر من تقاليدها وعاداتها وطقوسها المستمدة من الأخلاق الكونفوشيوسية.

- **الكونفوشيوسية (الأولية والمحدثة):**

إن تعاليم حكيم الصين كونفوشيوس (551 ــ 479 ق م) هي في كنهها جملة من الأخلاق والتعاليم الخالية من المعاني الميتافيزيقية، يقول كونفوشيوس مؤكدا : "أن الجميع يسعون إلى الغنى وإلى المناصب، وأن الجميع يمقتون الفقر". وهو يعني بالجميع عناصر الطبقة العليا الممثلة في الاقطاعيين.

يعتبر دعاة المذهب الكونفوشي الأولي منظومة الأخلاق ترسانة واجبات مختلف الطبقات، ومعلوم أن كونفوشيوس قد عاصر مرحلة احتضار النظام الاقطاعي الهرمي القديم، فمن المحتمل أن

Scanned with CamScanner

يجد النظام المذكور في كونفوشيوس المثل الأعلى الذي ينبغي الاقتداء به، ذلك أن إحالاته العديدة إلى (الشريف) تكفي لتذكر بما كان يعتقده في دور أعضاء الطبقة المسيطرة، فالشريف لم يكن بحاجة للاتصاف بصفات علمية مميزة.

إن الموقف الاجتماعي الذي ينادي به كونفوشيوس هو موقف عدالة أبوية وليست ديموقراطية، ذلك لأن الرجل الشريف يساعد المعوزين، ويحيط الطاعنين في السن بالعناية وهذه التصرفات هي مواقف شخصية بالدرجة الأولى.

كان كونفوشيوس يتجنب المجادلات الميتافيزيقية العقيمة، بحيث لم يكن يجعل من "الطاو" (TAO)غاية أخيرة، وإنما كانت تعني له كلمة "الطاو": النهج والانتظام، وبالتالي لم يكن كونفوشيوس ينكر حقيقة تعدد الأرواح في مذهب حيوية المادة الشائع، ويرفض بالمقابل كل التصورات المجسدة لله. ويعترف كونفوشيوس بوجود سلطة فوق الجميع يسميها "السماوات"، ويحض الناس على الاستجابة لأوامرها، بقوله: "فمن يضع نفسه موضع الجاني قبل السماوات لا غفران له".

ويستطيع كل إنسان ــ بمنطق كونفوشيوس ــ أن يصبح طيبا من خلال اتباع السلوك والتصرف الذي يقدر حقا في الحياة ويخلد في التاريخ، لهذا فهو يرشدهم إلى سلوك تعاليم "الملوك ــ الحكماء"، مؤكدا أن الحياة الطيبة ليست هبة من الطبيعة أو من الله !!.

إن المتأمل في منظومة الأخلاق الكونفوشيوسية الأولية يدرك أنها تدعو لتأسيس تراتبية عائلية اجتماعية وسياسية ممتدة من خلال التركيز على البعد الانساني كأساس للعلاقة بين مكونات المجتمع الصيني، ودعم الاحترام المتبادل وتمجيد الأجداد والتمسك بالتقاليد سعيا لضمان الانسجام والتوازن المجتمعيين، ذلك أن المثل الأعلى لكونفوشيوس واتباعه يكمن في أن الأب يجب أن يكون هو الأب، والابن هو الابن، والسيد هو السيد...، فكل فرد ينبغي أن يبقى في المكان الذي حدده له "التاي مينغ" أي أمر السماوات.

Scanned with CamScanner

أما الكونفوشيوسية المحدثة فمفاهيمها أكثر فلسفية من منظومة الأخلاق الأولية، إذ نجد فيها أثرا لـــ: "الطاوية" و"البوذية" ولعل ذلك يرجع إلى أن الجوانب المتافيزيقية التي أهملتها الأخلاق الكونفوشيوسية الأولية، دفع دعاة الكونفوشيوسية المحدثة إلى إشباع أتباعهم بطقوس صوفية وترانيم متافيزيقية.

وفي هذا الصدد يعترف الكاتب الصيني "تشوكي"(TCHOUKI) بأن الكونفوشيوسية المحدثة تعد أرفع تعبير عن الفكر الفلسفي الصيني لتأكيدها في تعاليمها على تفوق الروح الخيرة، مقابل ذلك يمكن للشر أن يتجلى في "الروح الطبيعية" أي الروح الملازمة لعالم الحس الدنيوي إذا جردت من مثلها الروحية. و يعزى عدم بلوغ الإنسان درجة السكينة الروحية إلى القلق الأناني في دنيا الجسد.

كما يتجلى المغزى التاريخي للكونفوشيوسية المحدثة حسب رأي (وانغ يانغ مينغ) في الجهد الذي يبذله المرء ليصير حكيما، ويحقق بذلك نموذج الشخصية الأخلاقية والملك الاجتماعي الذي يحض عليه المثل الأعلى الكونفوشي. وعلى هذا الأساس قبل الصينيون مبدأ التعايش مع المعتقدات الأخرى شريطة احترام قواعد وأخلاق الكونفوشيوسية، نذكر منها:

- **الطاوية:**

استطاعت الفلسفات الصينية صياغة نظريات ومواقف إزاء التاريخ، فكانت تستخدم لفظة "الطاو" (TAO) كمرادف لكلمة "النهج" (VOIE) وهو يفيد معنى الانتظام بشكل خاص في عمليات تطور الطبيعة، مثل تعاقب الليل والنهار، وتتابع الفصول، والنظام الضابط للنمو والتكرار المتماثل لحركة الأجرام السماوية. ويعتبر "لاو ــ تسو570 ــ 490 ق م"(LAO TSEU)وهو معاصر لكونفوشيوس الأب الروحي للطاوية التي أضفت عليه صبغة متشرد متوحد.

Scanned with CamScanner

لقد وضعت المرحلة الأولى من الطاوية كمرحلة كان فيها عدد من النساك يبذلون قصارى جهودهم لبلوغ غاية السكينة على نحو أناني من خلال ترك المجتمع والانعزال عن همومه ومشاكله.

ويقدم "الطاو تو كينغ" (TAO TO KING) كنص مبدئي وأساسي للطاوية فلسفة أكثر نضجا، تجاوزت مرحلة التأمل البدائي إلى مواجهة ظواهر الأشياء المتغيرة، بحيث يقيم "الطاو" كنهج وطريق ثابت وحقيقي لبلوغ مرتبة السكينة، مع حرص أصحاب هذا النهج على عدم التورط في الأوضاع الرسمية. وإذا كانت "الطاوية" تقبل بالعلاقات الاجتماعية، فهي لا تعنى بالتاريخ غلا على ضوء حياة الأفراد الداخلية فقط، وحسب "الطاو تو كينغ" فإن "الطاوية" لا تمثل أنانية بالمعنى الضيق للكلمة بقدر ما تركز سكينة الفرد في الواقع على المنهج كحقيقة. وبما أن "الطاو" حقيقة أخيرة خالدة فإنه يشكل أبد الدهر غير مرئي لكل ما يتبدل ولكل ما هو مرئي، والنتيجة أن "الطاو" هو حقيقة نهائية للكل الكوني، وبهذا يستطيع الفرد أن يصل مرتبة السكينة إذا أدرك وضعه الخاص في "الطاو". وبالتالي فالفرد يحتل مكانة ضيقة وحيزا ثانويا في "الطاوية" مقابل الاعتراف بالعنصر الاجتماعي ككل من خلال قولهم: "إنكم داخل أنفسكم تبصرون الآخرين". وعليه فإن "الطاوية" تعطي الانطباع فقط بأنها تريد مريديها أن يتجنبوا اقتراف الشر ضد الآخرين، ذلك أن سعادة كل فرد في التاريخ فغنها تتحقق بإتاحة المجال للجميع دون ضغط خارجي لتحقيق طبائعهم الخاصة.

إن "الطاوية" تحاول التوفيق بين أفراد المجتمع، لأن السعادة الحقيقية تحصل حينما يتطور "الطاو" في كل فرد "إن الانسان المتطور حقيقة يتبصر في صميم الأشياء بعمق في الطاو الأبدي". وعلى هذا الأساس يستهدف الموقف الطاوي التقدم التجريبي، وإنما يروم الحفاظ على حالة ثابتة من السكينة، وبهذا تعد "الطاوية" فلسفة في الرضى إزاء التاريخ، ومن مأثوراتهم قولهم: "إن السلبية والهدوء والرقة تميز أشياء العالم في حالة السلام وتمثل أرفع درجة من تطور الطاو". وفي هذا السياق يؤكد (تشوانغ ــ تسو) "بضرورة الحياة في هذا العالم كما نجده". إن مذهب الرضى

Scanned with CamScanner

الطاوي يعارض كل المحاولات الرامية على تغيير الواقع أو التمرد عليه إلى درجة أنهم يحضون اتباعهم على ترك الذهب في الجبال واللؤلؤ في البحار.

لاحظ الدكتور (فونغ يولان) انه قد حصل تحول على الطاويين خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، فوصفهم بالطاويين الجدد، ذلك أن "الطاو" الحقيقي في نظرهم هو كل شيء يوجد لذاته، وفي نفس الوقت كل شيء بحاجة إلى جميع الأشياء الأخرى.

وبالتالي فالطاويين الجدد يدافعون عن موقف فردي وكوني معا، وبالرغم من الفوارق الموجودة بين الطاويين القدامى والجدد، فإنهما يتمسكان بموقف موحد من التاريخ والحياة مفاده اتباع نهج الطبيعة دون التفكير في التمرد عليها، وفي هذا المضمار يقول (تشوانغ ــ تسو): "لندع كل شيء يبقى على ما هو عليه، فإن السلام يمكنه أن يسود هكذا فحسب".

- **البوذية:**

ظهرت البوذية في الهند حوالي القرن السادس قبل الميلاد كمعتقد، ثم تسربت تعاليمها إلى الصين خلال القرن الأول الميلادي، وغدت مع مرور الزمن من أقوى المعتقدات خلال القرن الثالث الميلادي، بحيث تزايد عدد كهنتها ومعابدها في معظم أرجاء الصين.

عن نمط الحياة الرهبانية التي دعت إليها البوذية انتشر بشكل هدد شروط الحياة الاجتماعية في الصين، ذلك أن المعتقد البوذي كان قائما على قاعدة الرضى، فكانت بذلك موافقة لمزاج الصينيين، يضاف إلى ذلك أن مذهب المد الأبدي كان يشجع الاتجاه إلى تقبل الأشياء كما هي، وهذا الموقف يتضمن شعورا بالانفصال عن الوقائع الأرضية المحتملة وبذلك تتحرر نفس المريد من كل اضطراب أو بذل جهد بإزائها.

إن هذا التصور نفاه (وانغ يانغ مينغ) عن البوذية مؤكدا أن الكونفوشيوسية هي التي كانت تتيح السكينة دون غيرها، بقوله: "عندما يؤكد البوذيون على أنهم لا يتعلقون أدنى تعلق بالظواهر،

Scanned with CamScanner

فإنهم يظهرون انهم متعلقون بها وكوننا نحن الكونفوشيين لا نؤكد على أننا لسنا متعلقين بها أبدا. إن البوذيين لفي ذعر من الصعوبات التي تتضمنها الروابط بين الناس فهم إذن يسارعون إلى الفرار منها، إنهم مرغمون على الفرار منها لأنهم متعلقون بها، ونحن نجد أنفسنا بإزاء علاقة الأب بالإبن فنستجيب لذلك بحب ونواجه علاقة السيد بالمسود فنستجيب لها بأمانة، وإذا وجدنا أنفسنا بإزاء علاقة الزوج بالمرأة فإننا ننظر إليها بميزان الاحترام المتبادل، فنحن لا نشعر بأي كلف بالظواهر".

وعموما فالبوذية الصينية كانت تمثل نهجا تأمليا بالتعارض مع النظرة المقابلة التي كانت تمنحها الكونفوشيوسية لجميع مظاهر الحياة الانسانية.

علاوة على المعتقدات السائدة، فقد انتشر الدين الاسلامي في بلاد الصين منذ حقبة العصر الوسيط من ناحية الجنوب حيث مسالك وتجارة الحرير، إلى أن تشكلت جماعة من المسلمين فضلت التمركز في تخوم الصين، في حين فشلت البعثات التبشيرية المسيحية في نشر قواعد اللاهوت المسيحي بين مكونات النسيج الاجتماعي الصيني.

Scanned with CamScanner

الحضارة الصينية (المبادئ والأهداف)

منذ الألف الأول قبل الميلاد سادت المجتمع الصيني افكار تعظيم الأجداد، وكانت فكرة الطاعة للأبناء فرض على الأبناء، بحيث عد من لا يحترم أباه او أخاه الأكبر مجرما، وبالتالي أصبح "تي" كأعظم الأسلاف إلها، كما أصبح، السيد الأعلى "تانج تي" إله الجميع. وجدت هذه الأفكار طريقها إلى حياة الصينيين السياسية مبررا لاحتكار أسرة "تشو" (chou) للسلطة لأنها تمثل السيد الأعلى.

ظل الوضع على حاله إلى أن أعلن حكيم الصين كونفوشيوس(تـــ:479 ق م) أن الانسان هو محور المجتمع، مميزا بين نوعين من الناس، نوع يفهم الحق فهو عظيم، وصنف يدرك المنفعة فهو وضيع. كما دعا إلى تطبيق مبدأ "جين"(jen) الخاص بالعلاقات التي يقيمها الانسان بغيره من بني نوعه، وربط كونفوشيوس الألقاب بحسب طبيعة الوظائف والمهن، والأفعال بحسب الكلمات عاهدا بالسلطة للفضيلة لا للعنف، كما اعتبر النبل والنبالة سلوكا شخصيا محضا لا علاقة له بالوراثة السلالية أو النسب والانتماء.

لم يؤسس كونفوشيوس فلسفة تعاليمه على أساس ديني، ومع ذلك فإن مفهوم السماء بالنسبة إليه لا يمكن أن تكون بشرا، علما أنه يعتبرها قوة مساندة للإنسان المكافح لنصرة الحق، وحسب تعاليمه فقد جعل الملك ابنا للسماء يدير شؤون الحكم بمعية الأسياد بفضل توجيه أسلافهم الذين يحيون في السماوات. فاستغلت الأرستقراطية الصينية هذا الامتياز وحصنت نفسها به، بالرغم من أن كونفوشيوس لم يكن يقصد ذلك، وإنما ربط وجود الحكومة بسعادة الناس ولا

Scanned with CamScanner

يتأتى ذلك إلا بالكفاءة المستمدة من التربية الحقة والمعرفة والخلق، ولهذه الغاية ركز كونفوشيوس على أهمية الوزير ودوره في الحكم، اما الملك فهو حسب تعاليمه يملك ولا يحكم، دون أن يغفل الإشارة إلى العلاقة الأبوية في المجتمع الصيني القائمة على أساس طاعة الأب مقابل توفير الحياة الكريمة للأبناء، وهي الفكرة نفسها التي طبقها حكيم الصين بشكل أوسع على الحاكم باعتباره الأب، اما الشعب فهم أفراد الأسرة الكبيرة.

اعترضت كونفوشيوس متاعب في حياته، ولم يتم تبني أفكاره في السياسة إلا في حدود ضيقة لأنها قللت من من سيطرة الملك باعتباره ابن السماء، إلى أن وصلت إلى الحكم أسرة "الهان" (Han) حيث تبنى الامبراطور "وو"(140 ــ 87 ق م) فلسفة كونفوشيوس مبدأ رسميا للصين فأصبح للكونفوشيوسية معاهد وأساتذة بهدف جمع البيروقراطيين وتسخيرهم في شؤون الدولة. وهكذا تحكم ملاك الأراضي في أقاليم الامبراطورية ووجدت تعاليم الكونفوشيوسية صداها في العلاقات بينهم وبين الأسرة الصينية العاملة في الحقول الزراعية. وعموما ساد النظام الاقطاعي القائم على أساس علاقة الأسرة بربها، وعلاقة الأسرة بالإقطاعي، وعلاقة الاقطاعيين بالإمبراطور، وظل الوضع على هذا النمط إلى حدود مستهل القرن العشرين.

إلى جانب الأخلاق الكونفوشيوسية التي ركزت تعاليمها على محورية الانسان، فقد ركزت الطاوية المعاصرة لها على فلسفة الطبيعة والتأمل متخذة من البساطة أساس الحياة منبهة على أن الفضيلة ليست وليدة نظام معين بقدر ما تنبع من الداخل. وبالتالي إذا كانت مبادئ كونفوشيوس قد انتجت مواطنين طيبين، فإن الطاوية قد أعطت أسرارا مقدسة لها ارتباط بالخرافة أكثر من العقل.

- **على المستوى العلمي:**

ظهرت مدرسة العناصر الخمسة لصاحبها (تسوبن 340 ــ 305ق م) القائمة على تطور الكون وفق خمس عناصر وهي: الماء والأرض والنار والخشب والمعدن، على أساس أن لها نظائر

Scanned with CamScanner

متوفرة في الحياة منها على سبيل المثال: خمس أباطرة خرافيين، وخمسة الوان، وخمس مراحل مناخية...، وللإشارة فإن سيادة كل عنصر من العناصر المذكورة مرتبط بزوال الآخر، وبالمثل زوال أسرة حاكمة وسيادة اخرى.

الملاحظ أن آراء هذه المدرسة تدور حول فكرة التطور وحول نظرة الانسان الصيني إليها، كما تجعل منه قدرا حتميا محكوما بظواهر تفوق طاقة الانسان مما أسهم في ترسيخ النظام القائم أصلا على مبادئ كونفوشيوس.

إلى جانب مدرسة العناصر الخمسة، ظهرت فلسفة "الين ــ اليانج" بمعنى الشيء ونقيضه، الين: يرمز للظلام، واليانج يشير إلى النور والقوة. هذه الفكرة تجعل من التناقض أساسا لخلق العالم، وهذا مفهوم غيبي يمثل الوجه الآخر للكونفوشيوسية التي ركزت على الاستقامة والسلف والسلطة. أما الانسان فهو مركز الأحداث والمؤثر الأساس في التغيير وهذه فكرة جديدة حول مغزى تطور المجتمع الصيني.

أصبحت البوذية قوة لها وزنها خلال القرن (5م) بحيث ترجمت تعاليمها إلى اللغة الصينية، ومن بين تعاليمها نبذ العنف والدعوة إلى السلم ومجاهدة النفس لقتل الرغبات. وبالرغم من تقاطعها مع الطاوية إلا أن هذه الأخيرة بالإضافة إلى الكونفوشيوسية رفضتا دعوة البوذية.

تعايشت هذه الأفكار والتعاليم والتأملات مع بعضها البعض واكتمل انسجامها خلال القرن (16م). إن الفكر الطبيعي التوفيقي الذي ساد حياة المجتمع الصيني لم يمنع ظهور حاجيات الانسان المادية كعامل في تغيير الأسر الحاكمة وليس النظام الاجتماعي السائد. وكان من أبرز التحولات في تاريخ الصين، وصول أسرة (تانج/ Tang) إلى الحكم (618 ــ 907م) إثر نجاح الثورة الزراعية في الصين وإنهاء عهد حكم أسرة (سيو / Sui). ومع بداية القرن(7م) استكمل الامبراطور (ابوان) بمساعدة ابنه (لي شي) من توحيد الكيان الصيني بعد الثورة الزراعية، كما تمكنا من وضع حد للغزو الأجنبي وإخماد الاضطرابات الداخلية بعد سقوط اسرة الهان سنة

Scanned with CamScanner

220م. كما اسهمت أسرة (تانج/ Tang) بجهد واضح في تشجيع العمليات التجارية وتطوير الحرف وصناعة السفن رغبة في الحد من الاقطاعات الشاسعة، فاستقطبت عددا من التجار الأجانب، وغدت بذلك العاصمة (شانجان) [هي حاليا مدينة شيان] مركز تبادل تجاري وثقافي ضمت أزيد من أربعة آلاف وافد أجنبي.

- **إرهاصات الثورة الثقافية:**

استفادت الثقافة الصينية من عوامل الاحتكاك المباشر مع الغرب فظهر عدد من المثقفين الصينيين المستقلين الذين لا تربطهم أية صلة بالأسر الحاكمة، فاهتم هؤلاء بدراسة مشاكل الصين اعتمادا على نظريات اجتماعية غربية بعد ترجمتها إلى اللغة الصينية، وفي هذا الصدد ترجم (يان ــ فو(تــوفي:1921م)) أعمال عديدة منها روح القوانين لمنتسكيو. وأصل الأنواع لداروين. وثروة الأمم لأدام سميث، ومع هذا الجهد المضني الذي بذله في ترجمة الأعمال المذكورة لم يكن مسلما بالتفوق الحضاري الغربي.

كان اهتمام المثقفين الصينيين يتمحور حول استعمال المنهج الأوربي في دراسة جوهر الحضارة الصينية والعمل على تنظيمها كحضارة حديثة تستفيد منها الانسانية كغيرها من الحضارات المتجة. غير أن المثقف الصيني وجد نفسه أسيرا لعاملين اثنين اولهما: التطلع إلى حضارة وماضي الصين الروحي والعقلي. وثانيهما النظرة الواقعية المرتبطة بانفتاح الصين على حضارة الغرب العلمية والتكنولوجية والعسكرية التي تبقى في ذهنية الصيني حضارة مرتبطة بالغزو والاحتلال مما أثر في انتشارها بين الفلاحين الذين يشكلون غالبية الشعب الصيني.

ظلت علاقة النخبة الصينية المثقفة بالماضي حاضرة في العادات والتقاليد والمعتقدات مع تذبذب النظرة التأملية تجلى ذلك في دعوات صينية حاكت الايديولوجيات الأوربية نذكر منها: اخلاقيات (لين ــ تسو ــ هسيو) الذي آمن بسلطة وقوة البلاط السماوي ومكانة مملكة السماء. وبالمثل اعتقد (تسنج كوافان) أن للصين منابع روحية تقوي مناعتها الذاتية ضد أية حضارة

Scanned with CamScanner

أخرى، مع اعترافه بأهمية تعلم الصينيين للصيغ الغربية والعمل على توظيفها في تقوية مناعة الحضارة الصينية والحفاظ على تميزها. اما بالنسبة لـــ (كونج يووي) فقد عارض إلغاء المبادئ الكونفوشية ودعا على ضرورة إصلاح الامبراطورية، على عكس صديقه (سانج تانج) الذي أصر على توظيف المنهج الانتقائي لتقوية عزم الصين في تكريس ثقافتها مع العالم الغربي، وخاصة على المستوى التقني.

.بموازاة ذلك نشطت حركة نهضة أدبية جديدة ناصرت مقاومة الشعب الصيني للاحتلال فيما عرف بحرب الأفيون، بحيث اسهم الأدباء في فضح جرائم الاحتلال والغزو الأجنبي، والقى روادها باللائمة على أسرة (شنج) المتحكمة في زمام الأمور متهمة حكامها بالاستسلام للمحتلين، وتعتبر قصيدة "العالم" للأديب (دي ـــ بوان) خير مثال ذلك. كما أسهب الشاعر الصيني (زهانج) في وصف المشاعر الوطنية، وملاحم المقاومة البطولية لسكان مدينة "سانيونلي" ضد الاحتلال البريطاني في قصيدة يحمل عنوانها اسم المدينة المذكورة.

وعموما فقد شكلت الدعوة إلى الأخذ بمناهج الغرب في التفكير من جهة، وإحياء النهضة الأدبية الصينية من جهة أخرى ضربة قوية للثقافة الاقطاعية السائدة في الصين، وكذا مثلت نقدا لاذعا للطبقة الحاكمة المتحالفة معها. وكان رد فعل الاقطاعيين السعي إلى عرقلة النهضة الأدبية والثقافية الجديدة وحاولوا بعث نفس جديد في تعاليم الكونفوشيوسية فواجهتهم مقاومة عنيفة أفصحت عن عدم رغبتها في العودة بالصين إلى الوراء.

وبالتالي كللت جهود رواد حركة النهضة الثقافية والأدبية الصينية بإنشاء جامعة بيكين سنة 1912م، ودشنت بذلك اول خطة إصلاح التعليم العام، غير أن ذلك لم يكن كافيا لإنقاذ الأمة الصينية علما أن عدد الطلبة تجاوز أربعة ملايين طالب بمختلف المدن الصينية يؤطرهم مائتي ألف مدرس ما بين (1915 ـــ 1916م)، في حين ظلت البوادي في منأى عن هذه الحركية التعليمية والثقافية النشيطة في الحواضر.

Scanned with CamScanner

- **الثورة الثقافية الصينية الأولى:**

أخذت الأفكار الديموقراطية الجديدة تنتشر بين أفراد المجتمع الصيني، فظهرت إلى الوجود مجلة "الشباب" سنة 1916م، وتحولت سنة 1918م إلى مجلة "الشباب الجديد" تحت تأثير الفكر الماركسي، فعارض خطها التحريري الاقطاعية وانحرافات الأدب الصيني القديم، ودافعت عن العلم الحديث وتبني الديموقراطية، وهاجمت تعاليم كونفوشيوس باعتبارها إديولوجية الاقطاعيين التي فرضت على إنسان الصين واستسلم لطقوسها، فركزت في مضامين أعدادها على ما يحرر العقل الصيني من هيمنة الاقطاع.

بالرغم من جهود (سون يات سين) في مناصرة الفكر الديموقراطي ودوره في إسقاط النظام الامبراطوري وإعلان جمهورية الصين سنة 1911م، فإنه عجز عن حل مشاكل الصين التي ورثها عن نظام الاقطاع. كما تراكمت مشاكل عدة مرتبطة بالتدخل الأجنبي وخضوع الصين للابتزاز من خلال الامتيازات الممنوحة للأجانب، فضلا عن التحكم في الخزينة المالية للصين من خلال استخلاص الأجانب للغرامات المفروضة على الصين.

كما شهدت حركة (سون يات سين) خلافات حادة بين أعضائها، انتهت باعتزال الزعيم (سون يات سين) رئاسة الجمهورية؛ وسلمها لأحد العسكريين الذين كان له دور في إسقاط النظام الإمبراطوري، غير أنه سرعان ما أعيد إلى سدة الحكم وظل رئيسا حتى وفاته عام 1925م.

رغم جهوده في إسقاط النظام الاقطاعي، والحد من سطوة الاحتلال لم يتمكن (سون يات سين) من نشر ثقافة بديلة تعوض الثقافة الجمعية التي ميزت الشعب الصيني منذ قرون. هذا الفشل يعكس رفض الشعب الصيني للأخذ بأي نموذج أو تجربة من أي جنس أو أمة أجنبية مارست الاضطهاد ضد الصينيين منذ 1840م بما في ذلك روسيا القيصرية القريبة من المجال الصيني.

ساد الشعور بغياب ثقافة جمعية على غرار ثقافة الماضي ليتقبلها الشعب لبناء صين حديثة، وفي هذا السياق اعتبر (كيووي(توفي 1950م)) أن ثقافة الصين الماضية بفلسفتها وذوقها الأدبي

Scanned with CamScanner

وتاريخها العميق لا يمكن الاعتماد عليها في إنقاذ الأمة الصينية. كما أن بريق الديموقراطية الغربية لم يقنع المثقفين الصينيين باتخاذه بديلا للنهوض الحضاري.

كما أن الثورة الاشتراكية التي قادها عمال روسيا في أكتوبر 1917م ونجاحها في القضائها على النظام القيصري الحاكم، ألهمت شرائح واسعة من الفلاحين الصينيين وتمكنت من إخراجهم من نفق الثقافة التقليدية السائدة إلى ثقافة جمعية جديدة يكون فيها دور الفلاح محوريا.

إن هذا التحول في التوجه من قبل الفلاحين شكل بداية الطريق نحو ميلاد تيار ثقافي وفكري مغاير لما الفه الانسان الصيني التقليدي من جهة ومخالف للفكر الأوربي البورجوازي. ومع ذلك لم يكن التيار الماركسي أقوى التيارات الثقافية الحديثة آنذاك، إلا أنه شكل جبهة وطنية رافضة للماضي اسهم في دعمه الانهيار الذي أصاب النظام السياسي والثقافي الصيني.

تمكن الاتجاه الماركسي من التأثير في العلاقات الاجتماعية الصينية وشحذها في إطار التحدي، ولم يتسطع معارضوه الحد من طموحه. كما ألح (هوشيه(توفي:1962م)) على إيلاء الأهمية اللازمة لمشاكل الصين القابلة للحل، وذلك بإيعاز من مقولات الأمريكي (جون ديوي)، إلا أن طروحات ديوي لا تناسب المجتمع الصيني.

واصبح الأمل معقودا على الفكر الجمعي الجديد في الصين، مما مهد لثورة ثقافية دشنها ثلاثمائة طالب فيما عرف بحركة:1919/05/04م، عندما خاضوا اعتصاما طالبوا من خلاله بإلغاء البنود المجحفة المفروضة على الصين عقب نهاية الحرب العالمية الأولى التي نصت عليها معاهدة (فرساي) الموقعة في يناير 1919م، حيث سمحت المعاهدة لليابان بضم بعض الجزر الصينية التي كانت تحت النفوذ الألماني. وبالتالي تحول الاعتصام الطلابي إلى مظاهرة شعبية عارمة رافضة لإملاءات الحلفاء المنتصرين في الحرب الأولى، وهكذا انتهى الاعتصام برفض الصين التوقيع على الاتفاقية المذكورة.

Scanned with CamScanner

وعموما فقد برهنت حركة الرابع من ماي الطلابية على عجز الاتجاهات الفكرية الغربية الجديدة عن التعبير عن مطالب الشعب الصيني مما أكد وجود إرهاصات جديدة لدى الشباب اعتبرت تعاليم الأخلاق الكونفوشيوسية من إرث الماضي، فكان ذلك إيذانا بفتح أبواب الصين أمام الحداثة ووضع حد لتأثير اللغة الصينية الكلاسيكية، مما أدى إلى بلورة موقف رافض لثقافة الماضي الصيني دون تمكن حركة الرابع من ماي من اقتراح بديل يحظى بموافقة أغلب شرائح المجتمع الصيني، فاتجهت حركة الشباب من جديد إلى إحياء(الكومنتانج) أي الحزب الوطني الذي أسسه الزعيم القومي (سون يات سين) سنة 1914م.

Scanned with CamScanner

التدخل الأجنبي في الصين خلال القرن 19م(الطور الأول):

خلال مستهل القرن(19م) دخلت الصين منعطفا دقيقا من سماته تأزم كل القطاعات تجلى ذلك في عدم قدرة حكومة (المانشو) على صيانة وحدة إمبراطورية السماء. كما أفرز الضغط الامبريالي سخطا متزايدا لفئات واسعة من السكان اتخذ صيغ انتفاضات فلاحية، وانخرطت جمعيات سرية في عصيان وتمرد، وبالمثل قادت الأقليات الدينية والاثنية ثورات مما نتج عنه إضعاف الامبراطورية الصينية.

كانت التجارة الأوربية في الصين إبان حقبة ما قبل القرن(19م)، تنشط في موانئ محدودة مثل مينائي (ما كاو) و(كانتون) ومنيت كل محاولات البعثات التجارية الأوربية بالفشل وعدم تمكنها من توسيع مبادلاتها التجارية مع الصين.

وصلت إلى ميناء(كانتون) خلال الربع الأول من القرن (16م) بعثة تجارية برتغالية، وطلبت باسم الملك البرتغالي من الامبراطور المنبثق من أسرة (المينغ) الحاكمة ربط علاقات تجارية مع فباء سعيها بالفشل، مقابل ذلك سمح الامبراطور لطاقم البعثة بزيارة بيكين والاقامة في ميناء (كانتون). وقام الاسبان برحلة مماثلة إلى الصين لتحقيق الهدف التجاري ذاته فقوبل طلبهم بالرفض كذلك، ومنح لهم حق الاقامة في ميناء (كانتون) كسابقيهم.

وفي بداية القرن (17م) تراجعت قوة الإيبيريين الاستعمارية، وظهر على الساحة فاعلين جدد يتعلق الأمر بدخول الهولنديين حلبة التنافس فحققوا مكاسب وامتيازات مقارنة مع الاسبان والبرتغال، ومما سهل مأموريتهم انهيار أسرة (المينغ) على يد أعدائهم من أسرة (المانشو) الذين

Scanned with CamScanner

مكنوا الهولنديين من امتيازات تجارية وديبلوماسية، ووقعوا مع الصينيين اتفاقية تقضي باستقبال أربعة سفن هولندية محملة بالبضائع مرة كل ثماني سنوات، كما سمح لهم بالتمركز في جزيرة تايوان.

خلال مطلع القرن(19م) أقبل الأوربيون على المنتجات الصينية خاصة الشاي والحرير والخزف وأصبحت الصادرات الصينية تفوق وارداتها، وسيعرف هذا الوضع تغيرا من خلال تزايد اهتمام الرأسمالية الأوربية بالأسواق الصينية. وأمام استمرار رفض الصينيين علاقات تجارية مع ابريطانيا، صممت هذه الأخيرة بعد إتمام غزوها للهند على استعمال القوة لإرغام الصين على فتح أبوابها أمام التجارة الحرة، وتحقق لها ذلك عن طريق شركة الهند الشرقية عبر إدخال مخدر الأفيون إلى الصين، فارتفعت قيمة الواردات الصينية ب50% سنة 1833م، بعد أن كانت نسبة التجارة البريطانية لا تتعدى 17% سنة 1818م.

بالرغم من ارتفاع قيمة المبادلات التجارية البريطانية مع الصين، إلا أن أنشطة تهريب الأفيون أدت على مضاعفات سلبية على أبدان وعقول الصينيين بحيث تشير إحصاءات أواخر القرن الماضي إلى ارتفاع نسبة إدمان الأفيون إلى ربع السكان، وتأثر الاقتصاد الصيني بتدفق العملة خارج البلاد بطرق غير شرعية، وتفشي الرشوة بين جباة الضرائب وموظفي الجمارك.

تعالت الأصوات الفلاحين المطالبة بالقضاء على تجارة الأفيون، قرر الامبراطور تحت ضغط فئات عريضة من المحتجين وضع حد لتجارة الأفيون لما لها من تأثير سلبي على الاقتصاد والسياسة الصينيين، فأصدر مرسوما شديد اللهجة يقضي بمنع تجارة الأفيون، وفرض عقوبات على المهربين الصينيين، ولتنفيذ هذه الاجراءات بحزم عين (لي تشي هسو) مندوبا إمبراطوريا ساميا ومنحه اختصاصات واسعة للقيام بالمهام الموكولة إليه، ثم توجه إلى كانتون وصادر أكياس الأفيون من التجار الأجانب، وحذر العمال الصينيين من التعامل مع السفن التجارية الأجنبية، فرفض المشرف البريطاني الانصياع لأوامر المندوب فضرب هذا الأخير حصارا على كانتون وصادر أكثر من

Scanned with CamScanner

عشرين ألف صندوق واحرقها في حفل عام سنة 1839م، مما أثار غضب البريطانيين فكان ذلك بمثابة الشرارة التي أدت إلى انطلاق حرب الأفيون على الصين في أبريل 1840م بحجة عرقلة التجارة الحرة والتضييق على التجار، كما طالبت ابريطانيا بالتعويض الفوري لقيمة الأفيون المصادر، وإجبار الصين على الاعتراف بشرعية الاتجار في الأفيون لأنه يدر أرباحا على الخزينة البريطانية.

رفضت الصين كل هذه الشروط لأنها تنال من سيادتها، فضرب الأسطول البريطاني حصارا على ميناء كانتون، وقصفت بقية الموانئ، وبالتالي تم احتلال ميناء (أموي/Amoy) و(نينغ بو/Ning po) يوم 09 مارس 1842م، وشنغاي يوم 18 نونبر1842م.

وبموازاة المعارك الدائرة جرت مفاوضات انتهت بتوقيع اتفاقية (شوني)التي نصت على تسليم هونغ كونغ إلى ابريطانيا وأداء غرامة مالية التي نصت على تسليم هونغ كونغ إلى ابريطانيا وأداء غرامة مالية (ستة ملايين ريال من الفضة) وفتح ميناء كانتون للتجار البريطانيين، لكن ما عن عبرت القوات البريطانية نهر (اليانغ تسي كيانغ) واستعدادها للهجوم على مدينة (نانكينغ) المدخل المباشر للعاصمة بيكين حتى أذعنت الصين ووقعت مرغمة معاهدة نانكينغ يوم 19 يونيو 1842م التي جعلت الصين تخضع لشروط قاسية تحت وطأة الرأسمالية الأجنبية.

أصبحت الصين ملزمة بتنفيذ بنود المعاهدة المجحفة، فدفعت غرامة مالية عن الأفيون المصادر، وتنازلت لابريطانيا عن جزيرة هونغ كونغ، وفتح خمس موانئ استراتيجية في وجه التجارة الأجنبية، وهي موانئ: شنغاي، كانتون، أموي، نينغ بو، فوتشيو. هذا إلى جانب الترخيص للتجار الأجانب وأسرهم بالإقامة فيها دون مضايقة، وعدم رفع الرسوم الجمركية على السلع والواردات البريطانية على أن لا تتعدى نسبتها(5%) مما هدد نمو الصناعة الوطنية الصينية.

كما حصلت ابريطانيا بموجب المعاهدة على أن يتكفل قناصل بلادها بالدفاع عن مصالح رعاياها من التجار على أن يخضعوا للقانون البريطاني على المستويين الجنائي والمدني. وبالمثل

Scanned with CamScanner

استفادت ابريطانيا من بروتوكول متمم لمعاهدة نانكينغ مفاده أنه من حقها أن تحصل على نفس الامتيازات والحصانات التي تحصل عليها دول أجنبية مستقبلا فيما عرف تاريخيا بشرط الدولة الأكثر رعاية.

أمام الامتيازات الممنوحة لابريطانيا، تحركت الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا فمارستا ضغطا على الامبراطور الصيني (تشين كينغ)، فحصلت الأولى على امتيازات تجارية من خلال توقيع معاهدة (وانجهيا) بتاريخ 03 يوليوز 1844م، ووقعت فرنسا معاهدة مماثلة مع الصين عرفت باتفاقية (وامبو/ Wham pou) يوم 24 أكتوبر 1844م تضمنت لإضافات تخص حق إقامة البعثات التبشيرية المسيحية.

وعموما كشف تسارع الأحداث المضطردة مدى ضعف الجهاز الامبراطوري الصيني، وعجزه عن صيانة وحدة البلاد وسيادتها من الأطماع الأجنبية فاضطربت الأوضاع الداخلية من خلال انتفاضات الفلاحين كان أخطرها انتفاضة التايبينغ (Taipinq).

Scanned with CamScanner

انتفاضة التايبينغ:

شهدت الصين خلال تاريخها انتفاضات تزعمتها فئات الفلاحين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر انتفاضة أصحاب العمامات الصفراء (turbans jaunes) إبان القرن الأول الميلادي، كما عرف القرنان (12 ــ 13م) انتفاضات أخرى في عهد سلالة (سونك / Song)، أعقبتها انتفاضات أخرى في أواسط القرن (17م).

ابتداء من 1840م ارتفع إيقاع الهبات الفلاحية، وتجاوز عددها مائة هبة خلال الفترة الممتدة ما بين (1841 ــ 1849م). وانطلاقا من منتصف القرن (19م) انطلقت هبات بتأطير وتوجيه من الجمعيات الصينية السرية بلغ عددها زهاء (18 هبة). وبالمثل غدت الأقاليم الصينية التي شهدت انتفاضات خارجة عن سلطة الحكومة.

بتزامن مع حرب الأفيون نشطت الانتفاضات، في وقت انخرطت الصين مرغمة في سوق التجارة الحرة، فجاءت الهبات كرد طبيعي على تعسف موظفي الدولة في استخلاص الضرائب، وخضوع أسرة المانشو الحاكمة للضغوط الأجنبية، إلا أنه سرعان ما كانت الهبات العفوية تخبو وتنطفئ من خلال تدخل رجال السلطة نظرا لضعف تنظيمها، وبالتالي لم تكن تشكل خطرا حقيقا على الوضع القائم.

أما انتفاضة التايبينغ فلم تكن كالهبات السابقة، بل كانت محكمة التنظيم؛ تجلى ذلك في اتساع قاعدتها مجاليا وزمانيا، فضلا عن وضوح خطها الثوري وهدفها السياسي. فقد تزعمها (هونغ سيو تسواف/ Hong xivquan) وهو رجل تعليم ينحدر من أسرة فلاحية فقيرة،

Scanned with CamScanner

أذاع أنه مبعوث من قبل السماء للقضاء على أسرة المانشو، والعمل على إقامة دولة الحق والمساواة والعدل، فانخرطت جموع الفلاحين في جمعية "عباد الله" التي أسسها (هونغ سيو تسواف)، وتدعمت صفوف هؤلاء بالتحاق الحطابين وعمال الوحدات المنجمية.

وبالتالي انطلقت شرارة التوتر والصراع بين الثوار وبين أرباب الأراضي معززين بأعوان السلطة القائمة في إقليم (كوانجسي/ Guangxi) الحساسة لقربها من ميناء كانتون حيث يستقر الأجانب المستفيدون من الامتيازات والحصانات.

عندما انضمت الأقلية المسلمة إلى أنصار الثورة، جعل منهم (هونغ سيو تسواف) جيشا بلغ تعداد أفراده ما يناهز مليون مقاتل؛ تمكن بفضلهم من السيطرة على إقليم (كوانجسي) وأعلن نفسه إمبراطورا لمملكة السلام السماوية يوم 11 يناير1851م، ثم تقدمت قوات التايبينغ نحو الشمال وفي طريقها أخذت تخرب القصور والمنشآت التابعة للدولة، كما عملت على تصفية أرباب الأراضي وصادرت ثرواتهم وأموالهم. وهكذا تمكن الثوار من احتلال مدينة (نانكينغ) سنة 1853م واتخذوها عاصمة لمملكة السلام.

شرع (هونغ سيو تسواف) في سن تشريعات وتنظيمات جديدة، وإدخال إصلاحات زراعية أصبحت بموجبها وضعية الأرض ملكية جماعية. إلا أن المعارك الصعبة التي خاضتها الانتفاضة ضد قوات المانشو لم توصل (هونغ سيو تسواف) إلى تحقيق أهداف الثورة، بحيث لم تصمد مملكة السلام سوى (14 عاما)، فضلا عن عدم قدرته صيانة تأييد أنصاره.

وبعد استقرار التايبينغ في مدينة (نانكينغ) أقام الثوار جهازا حكوميا تولى إثقال الفلاحين بالمزيد من الضرائب؛ فلم يتحمل هؤلاء وعبروا عن تذمرهم من القائمين على جباية الضرائب، يضاف إلى ذلك الانشقاقات التي حصلت في قيادة التايبينغ بسبب الصراع على النفوذ والسلطة؛ مما عجل بتدهور مملكة السماء التي لم تكن في الواقع إلا نسخة معدلة للنظام السياسي الامبراطوري المنهار.

Scanned with CamScanner

وإلى جانب العوامل الداخلية المساهمة في إجهاض الثورة، فإن تحالف القوى الرأسمالية الأوربية مع حكومة المانشو سهل حصولها على العتاد الحربي لإخماد الثورة، بحيث تقضي بنود الاتفاقية الموقعة بين الطرفين في معاهدة بيكين سنة 1860م بعد حرب الأفيون الثانية بتقديم الأوربيين كل أنواع الدعم العسكري للإمبراطور لقمع الثورات والانتفاضات، وبموجب هذا الالتزام الأوربي تمكنت أسرة المانشو من القضاء على انتفاضة التايبينغ؛ واسترجاع الأقاليم وتحرير بيكين من أيدي الثوار سنة 1864م وحكم على معظم قادتها بالإعدام.

ومن بين الانتفاضات العفوية التي تزامنت مع انتفاضة التايبينغ، انتفاضة إقليم (نيان(1853 ــ 1868)). ونتيجة لإثقال كاهل الأقلية المسلمة بالضرائب الجائرة انطلقت انتفاضة الشمال الغربي (1863 ــ 1873م)، ساندتها هبة مسلمي (يونان) في الجنوب الغربي للبلاد، مما شكل خطورة على حكومة المانشو التي استنجدت بالتدخل الأجنبي للقضاء عليها كذلك تطبيقا لمعاهدة بيكين المذكورة.

Scanned with CamScanner

الوصاية الامبريالية وازمة الحكم الصيني (الطور الثاني):

إن الأحداث التي تلت هزيمة الصين في حرب الأفيون الأولى وخضوعها للمعاهدات المجحفة وما نتج عنها من تذمر داخلي تجلى في الانتفاضات العارمة التي عبرت من خلالها فئات الشعب الصيني عن رفضها للتدخل الرأسمالي الأوربي في شؤونها الداخلية. كما صبوا جام غضبهم وسخطهم عن الممارسات الاستبدادية التي مارسها ضدهم موظفو الدولة.

أكدت هذه الأحداث والوقائع أن الأفق السياسي لأسرة المانشو بلغ نهاية انحطاطه لأنه في نظر الصينيين رهن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للصين لدى تحكم القوى الأجنبية مما زاد في تأزم الوضع الداخلي لفئات عريضة من الصينيين.

لم تكف الدول الوربية عن ابتزاز الحكومة الصينية للحصول على مزيد من التنازلات والامتيازات، وسعت إلى إدخال تعديلات جوهرية على الاتفاقيات المبرمة معها سلفا وتحيين بنودها بما يخدم مصالحها الامبريالية، ويمكن حصر المطالب التي تسعى إلى تحقيقها في العناصر التالية:

حرية الدخول والتجول في أرجاء الصين.

الاستفادة من حق الملاحة الحرة في نهر (اليانجستي).

الاعتراف بقانونية تجارتي الأفيون والخنازير.

تنظيم علاقة دبلوماسية راتبة مع الصين.

Scanned with CamScanner

توفير مقرات غقامة للدبلوماسيين الأوربيين في العاصمة بيكين.

وكان متوقعا ان تنصاع الصين المغلوب على أمرها لهذه الضغوط والابتزازات، طبعا بعد إظهار نوع من المماطلة والمقاومة. وبالفعل كانت الدول الأوربية المستفيدة من الامتيازات تبحث عن مبررات إعلان الحرب على الصين لتحقيق مآربها، وبالتالي استغلت ابريطانيا اقتياد السلطات الصينية لسفينة صينية تستغل في أعمال القرصنة البحرية منصوب عليها علم ابريطانيا، فاحتج المندوب السامي البريطاني من هونغ كونغ وطالب الحكومة الصينية بالافراج عن طاقم السفينة، وتقديم اعتذار لابريطانيا لأن السفينة المحتجزة هي مشمولة بالحماية البريطانية.

ولم تمتثل الصين للضغوط البريطانية، فوجدت هذه الأخيرة الفرصة سانحة لإعلان الحرب على الصين، وسرعان ما انخرطت فرنسا في إعلان الحرب على الصين بحجة اضطهاد وقتل قس مسيحي فرنسي، فانهزمت القوات الصينية وأرغمت حكومة المانشو على توقيع اتفاقيتين جديدتين، الأولى أبرمت في يونيو 1858م وتدعى اتفاقية (تيان ــ تسين). والمعاهدة الثانية وقعت يوم 25 أكتوبر 1860م وهي المعروفة بمعاهدة بيكين.

وسمحت المعاهدتان بتحقيق الأهداف التي كانت تصبو إليه القوى الأوروبية الامبريالية من حرية تجوال رعاياها بكل حرية داخل التراب الصيني، وغلزام الحكومة الصينية بدفع غرامة مالية، وبالمثل فتحت معظم الموانئ الصينية في وجه التجارة الأوربية، كما حصلت القوى الإمبريالية على امتياز إرسال بعثات دبلوماسية وسياسية دائمة، والأدهى من كل ما سبق أن نصبت ابريطانيا أحد موظفيها في منصب مفتش عام للجمارك البحرية لفرض رقابة مالية على المداخيل الصينية من الملاحة البحرية، إلى جانب رفع الحظر الصيني على تجارة الأفيون، والسماح بتشغيل الأوربيين للعمال الصينيين.

طويت صفحة العداء والتوتر بين القوى الأجنبية الامبريالية وحكومة المانشو؛ عندما أعربت الدول المستفيدة عن رغبتها في دعم النظام الامبراطوري.

Scanned with CamScanner